تاريخ الاستلام: 2023/07/01م تاريخ القبول: 2023/07/15م تاريخ النشر: 2023/12/15م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية – تصدر عن أقسام الفلسفة بجامعة الزاوية
العدد الرابع عشر – السنة الخامسة – ديسمبر/ 2023م

الجمـال وفلسفـة أرسطـو الواقعيـة

عائشة أحمد عبد السلام المشري
قسم الفلسفة – كلية التربية بزوارة – جامعة الزاوية
الزاوية – ليبيا
EMAIL: alt.eashah@zu.edu.ly

ملخَّص البحث:

الفن جزء لا يتجزأ من تاريخ الإنسان وحياته، فالإنسان وهبه الله –عزَّ وجلّ– القدرة على الإحساس والإبداع الفني، فهو يشعر بالجمال في مظاهر الحياة الطبيعية، ولذلك فالرَّسام أو النحَّات يستمدان مقوِّمات فنهما من العالم المحيط بهما، فتأمل الكون يغمرهما بالسعادة والاستمتاع بجمال الطبيعة، كما أنَّ لحظة الفرح تدفعهما إلى الإيمان، وتتحوَّل إلى ألوان من الإبداع الفني، المتمثل في الشعر والموسيقى وغيرهما. ولهذا فالجمال موجود في حياتنا، وفي عالم الفكر والفن والأدب، وفي القصص الأدبية، ويبرز الجمال في أسمى معانيه، في لمسات المصوِّرين حين تصور الواقع في حيويته، فيحس المشاهد بقيمة الابتكار الذي يبرز في انسجام الألوان، وفي إيقاع الحياة، لهذا نرى الفلاسفة يهتمون بتحليل الخبرة الجمالية، ويحرصون على فهم الظواهر الفنية والجمالية.

يأتي اختيار الموضوع انطلاقًا من أهميته، ففلسفة الجمال في الفكر اليوناني، مصدرًا مهمًا، حيث نجد الذين يؤرِّخون لعلم الجمال، يتحدثون عن نظرية الأدب والنقد الأدبي، وماهية الجمال من خلال أفلاطون وأرسطو، ولهذا فإنَّ ما دعاني إلى البحث في هذا الموضوع، هو الشعور بأهمية الجماليات اليونانية، وتأثيرها على التراث الإنساني، وكذلك محاولة إبراز الدور الفعَّال لأرسطو في الرفع من شأن فلسفة الجمال.

يهدف هذا البحث إلى توضيح مفهوم الجمال عند أرسطو والعوامل التي جعلته يهتم بالشعر والأدب، ونظرية المحاكاة عنده، فأرسطو خصَّص للفن مكانًا في فلسفته، وحاول أنْ يدرس المشكلات التي يخلقها الإنتاج الفني ويحلِّلها، ثم يقدِّم حكمًا في شأنها، ولهذا فقد اتخذت المنهج الوصفي لتوضيح هذه الأفكار.

كلمات مفتاحية: الجمال . الفن . الاستاطيقا . الواقعية . النقد الفني . المحاكاة .

الكلمات المفتاحية:

Beauty and Aristotle's realist philosophy

Aisha Ahmed Abdel Salam Al-Mishri

Department of Philosophy - College of Education Zuwara - University of zawia

Azzawia -Libya
EMAIL: : alt.eashah@zu.edu.ly

ABSTRACT

Art is an integral part of human history and life. Man is endowed by God Almighty with the ability to feel and create artistically. He feels beauty in the natural manifestations of life. Therefore, the painter or sculptor derives the elements of their art from the world surrounding them. Contemplating the universe fills them with happiness and enjoyment of the beauty of nature, and the moment of joy pushes them to believe, and turns into colors of artistic creativity, represented by poetry, music, and others. That's whyBeauty exists in our lives, in the world of thought, art, and literature, and in literary stories. Beauty appears in its highest sense, in the touches of photographers when they depict reality in its vitality, so the viewer feels the value of innovation that emerges in the harmony of colors and in the rhythm of life. This is why we see philosophers interested in analyzing experience. Aesthetic, and keen to understand artistic and aesthetic phenomena.

The choice of the topic comes based on its importance. The philosophy of beauty in Greek thought is an important source, as we find those who chronicle the science of aesthetics talking about the theory of literature, literary criticism and the nature of beauty through Plato and Aristotle. Therefore, what prompted me to research this topic is the feeling of its importance. Greek aesthetics, and its impact

on human heritage, as well as an attempt to highlight the effective role of Aristotle in raising the status of the philosophy of beauty.

This research aims to clarify the concept of beauty according to Aristotle and the factors that made him interested in poetry and literature, and his theory of imitation. Aristotle allocated a place to art in his philosophy, and he tried to study the problems that artistic production creates and analyze them, then provide a ruling on them. Therefore, I have taken the descriptive approach to clarify these problems. Ideas.

Keywords: Beauty - art - aesthetics - realism - art criticism - simulation.

مقدمة:

الفن وتاريخ الوعي الجمالي جزء لا يتجزأ من تاريخ الإنسان وحياته، فالإنسان وهبه الله –عزَّ وجلّ– القدرة على الإحساس بالجمال وتذوقه، والقدرة على الإبداع الفني، فهو يشعر بالجمال في مظاهر الحياة الطبيعية والفنية من حوله. ولذلك فالرَّسام الذي يرسم الأزهار بريشته، أو النحَّات الذي ينحت جسدًا جميلًا، يستمدان مقوِّمات فنهما من العالم المحيط بهما، فتأمل الكون بمختلف صوره الجمالية يغمر النفس سعادة الاستمتاع بجمال الطبيعة، كما أنَّ لحظة الفرح التي تبعثها هذه الصور في نفس الإنسان تدفعه إلى الإيمان، وتتحوَّل إلى ألوان من الإبداع الفني، المتمثِّل في الشعر والموسيقى وغيرهما. ولهذا يتجسَّد الجمال في حياتنا، فهو موجود في عالم الفكر والفن والأدب، وفي القصص الأدبية، تبرزه فنون الشعر والنثر، المثيرة التي تفيض حركةً وحياة.

ويبرز الجمال في أسمى معانيه، في لمسات المصورين حين تصور الواقع في حيويته، فيحس المشاهد بقيمة الابتكار الذي يبرز في انسجام الألوان، وفي إيقاع الحياة، لهذا ليس بدعًا أنْ نرى الفلاسفة يهتمون بتحليل الخبرة الجمالية، ويحرصون على فهم الظواهر الفنية.

ويعد أرسطو(384– 322 ق م) من أعظم فلاسفة اليونان، وأكثرهم شهرة، كان ولا يزال يسمَّى (المعلم الأول)، حيث يصور أرسطو الجمال باعتباره التنسيق، والعظمة، والانسجام بين الأشياء، أي: أنَّ الجمال عنده هو تناسق التكوين لعالم يظهر في أسمى وأجمل مظهر له. وبذلك رأى أنَّ للجمال نموذجًا باطنًا في العقل، فليس هناك جمال يتجاوز حدود الإنسان أو العالم، فكل شيء موجود في عالم الواقع، وفي داخل الإنسان، فأرسطو

كان يصب اهتمامه على دراسة الواقع في تشخيصه وماديته، فخصَّص للفن مكانًا في فلسفته، وحاول أنْ يدرس المشكلات التي يخلقها الإنتاج الفني ويحلِّلها، ثم يقدِّم حكمًا في شأنها، وتقوم أهم أفكاره الجمالية في كتابه: (فن الشعر)، الذي ظل منبعًا للنظريات والتصوُّرات الجمالية، وعُدَّ خلاصةً للتفكير السليم في الأدب عامة.

أهمية الموضوع:

يأتي اختيار الموضوع انطلاقًا من أهميته، إذ تشكِّل (فلسفة الجمال في الفكر اليوناني)، مصدرًا مهمًا، لأنَّه يُعد أول تفكير منظَّم في مجال فلسفة الجمال، حيث نجد الذين يؤرخون لعلم الجمال، ويتحدَّثون عن نظرية الأدب، والنقد الأدبي وماهية الجمال لا يتحدثُّون في هذه المجالات، إلا من خلال أفلاطون وأرسطو، وكأنَّهم يجعلون اليونان مصدر كل ما يمكن أنْ يكون في خاطر الإنسان وفكره. ولهذا فما دعاني إلى البحث في هذا الموضوع، هو الشعور بأهمية الجماليات اليونانية، وتأثيرها على التراث الإنساني، وكذلك محاولة إبراز الدور الفعَّال لأرسطو في الرفع من شأن فلسفة الجمال.

مشكلة البحث:

في ضوء ما تقدَّم تم تحديد مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

1- ما مفهوم الجمال لغةً واصطلاحًا؟

2. ما العوامل التي دفعت أرسطو إلى العناية بالأدب والشعر؟

3. ما مفهوم نظرية المحاكاة عند أرسطو؟

4. ما الطابع المميِّز للجمالية اليونانية؟ ويعبَّر عن جوهرها الحقيقي.

منهجية البحث:

أمَّا عن منهجية البحث، فقد اقتضت طبيعة البحث في الجماليات عند أرسطو تعدُّد المناهج خلال السياقات المختلفة، فالبحث وإنْ غلب عليه منهج العرض والتحليل المفصَّل للأفكار الفلسفية الجمالية عند أرسطو، إلا أنَّه تم التعويل على المنهج الوصفي؛ لأنَّ الجمال هو(علم وصفي) يدرس العمل الفني باعتباره ظاهرة بشرية تدخل في صميم النشاط الروحي للوجود البشري.

وبناءً على إشكالية البحث والمنهج المتتبع فيه قُسم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسية وهي كالآتي:

أولاً: مفهوم الجمال لغة واصطلاحًا:

لقد تنوَّعت تعريفات الجمال واختلفت عند الشرَّاح والباحثين وعلماء اللغة، مثلما تنوَّعت في تعريف الفن، سواء بسواء، وذلك لتنوُّع المذاهب الفلسفية واتجاهات الفكر عند الدارسين وبالدرجة الأولى، لاختلاف زوايا النظر إليه[1]. ولهذا سنبدأ بمحاولة استكشاف المعنى من خلال اللغة، لعلّ ذلك يكون إحدى السبل التي تجعلنا ندرك المعاني التي يتخذها الجمال.

أ- الجمال لغة:

الجمال: مصدر للفعل جَمُلَ، بمعنى حسن وبهاء[2]، وفي قوله تعالى: **﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾** [3] والجمال، الشديد الجمال، أو البالغ الجمال، وجمل تجميلاً حسنهُ وزينهُ- وقد جَمُل الرجل، فهو جميل، والمرأة جميلة، وجملاءً أيضًا[4].

وبعبارة أخرى الجمال هو حُسن، وملاحة، ووسامة، وبهاءٌ، وهو ما يثير فينا إحساسًا بالانتظام والتناغم، والكمال، وقد يكون ذلك في مشهد من مشاهد الطبيعة، أو في أثر من صنع الإنسان- إذن الجمال، هو الحُسنُ في الخُلق والخَلق[5].

ب- الجمال اصطلاحًا:

انتقل مصطلح الجمال أو الاستاطيقا (Aesthetic) من الكلمة اليونانية القديمة – Aesthetics- التي تعني تمثُّل، أو إدراك الشعور الحسي المبهج، والحكم عليه بأنَّه جميل[6]، وبمعنى آخر، الجمال يعكس ويقوم ظواهر الوقائع والأعمال الفنية التي تمنح الإنسان إحساسًا بالمتعة الجمالية، والتي تجسِّد بشكل حسي وموضوعي حرية القوى الإبداعية والمعرفية، وقدرات الإنسان في كل مجالات الحياة الاجتماعية[7].

أمَّا بالنسبة إلى الجمال من ناحية فلسفية، فهو صفة تُلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سرورًا ورضًا، وللجمال من الصفات ما يتعلَّق بالرضا، واللطف، وهو أحد القيم الثلاث التي تنتسب إليها أحكام القيمة، أي الحق والخير والجمال[8].

وفضلًا عن مصطلح (الجمال)، يوجد كذلك مصطلح (علم الجمال)، والمقصود به العلم الذي يبحث في شروط الجمال، ومقاييسه، ونظرياته، وفي الذوق الفني، وفي أحكام القيم المتعلِّقة بالآثار الفنية، وهو أحد الأقسام الرئيسة في الفلسفة[9]. وكذلك نجد الجمال من الناحية الأخلاقية، يعني الاتجاه إلى تنظيم السلوك، وفقًا لمقتضيات الجمال، لأنَّ الحياة عند أصحاب هذا الاتجاه، لا تكون كاملةً إلا إذا كانت جميلةً[10].

أمَّا الصوفية[*] وهي مذهب الهدف منه تصفية القلوب، والصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص لعبادة الخالق، فترى أنَّ الجمال هو عبارة عن الإلهام الوارد على قلب السالك من عالم الغيب[11].

من الجليّ أنَّ وجهات النظر اختلفت وتنوَّعت في تحديد مفهوم الجمال، وذلك راجع بالدرجة الأولى، إلى أنَّ الحكم على الشيء بالجمال راجع إلى الناظر أو السامع، وليس إلى الشيء الجميل ذاته.

ثانياً: أرسطو والجمالية الواقعية:

أ: مصنَّفاته:

لم يكن أرسطو مؤرِّخًا بقدر ما كان فيلسوفًا مبدعًا، ومنطقيًا فذًا، وعالمًا، حاول تخليص العالم من الكثير من الخرافات والأساطير، التي علقت به في المراحل السابقة، عليه فقد كان حريصًا في أبحاثه، على أنْ يفحص ما يأتيه من معلومات، من خلال ما يشاهده بعينه ويزنه بميزان عقله[12]، كان واسع المعرفة بفروع العلم المختلفة، حتى لا يكاد يكون هناك فرع من فروع المعرفة لم يسترع انتباهه، ولم يكن فيه أعلم عصره، وبهذه العزيمة اتجه أرسطو إلى حقل المعرفة كله، مستوعبًا كل العلوم الموجودة، فرفض ما يبدو خاطئًا عند سابقيه، ومضيفًا إلى الباقي تطورات واقتراحات قيمة خاصة به[13]، ولذا يمكن أنْ نميِّز بين ثلاثة مجاميع من مؤلفاته أولاً: مؤلفات الشباب التي كُتبت في شكل محاورات؛ وكانت تنشر ليقرأها جمهور واسع من غير المتخصِّصين، وهي تسمَّى بالكتب المنشورة. ثانياً: مذكرات خاصة بأرسطو نفسه، كان يجمع فيها معلوماته الخاصة بأبحاثه. ثالثًا: المؤلفات التعليمية، وهي التي يدرِّسها لجمهور خاص من الطلَاب، وهي تسمَّى عادة بالكتب المستورة[14]، وهذه المؤلفات الأخيرة هي الموجودة الآن بين أيدينا، وبفضلها قد عرفنا أرسطو، وهذه المؤلفات كتبها في عصر أساتذته باللقيون، ويمكن أنْ نقسِّمها على خمسة أقسام.

1ـ الكتب المنطقية: وعُرِّفت باسم الأرجانون، أو الآلة، أي آلة الفكر، وهو يدور حول برهنة [15].

2ـ الكتب الطبيعية (الفيزيقا): وتُعنى بالعلل الأربعة؛ لأنَّ أفلاطون والمثاليين لم يعنوا إلا بالعلة الصورية، والفلاسفة الطبيعيون لم يعنوا إلا بالعلة المادية، أمَّا التغيير الصحيح للطبيعة عند أرسطو، فهو الذي يضيف أيضًا إلى هاتين العلتين، العلة الفاعلة والغائية.

3. **كتب الفلسفة الأولى أو الميتافيزيقا:** والفلسفة الأولى مختصة بالمبادئ الأولية، التي تعتمد عليها المعرفة في باقي العلوم، وقد رأى أرسطو أنَّ كل علم يتناول دراسة نحو معيَّن من أنحاء الوجود، ولكن ليس هناك علم يبحث في الوجود ذاته، ولذلك رأى أنْ يفرد لهذه الدراسة علمًا خاصًا أسماه (علم الوجود بما هو موجود)، وهو علم المبادئ أو العلل الأولى للوجود[16].

4. **كتب الأخلاق والسياسة:** لم يفصل أرسطو بين علمي الأخلاق والسياسة، لما بينهما من روابط وثيقة، فهما علما السلوك الإنساني في الأسرة والمجتمع، وقد ألَّف أرسطو في الأخلاق ثلاثة مؤلفات هي (الأخلاق إلى نيقو ما فاس)، و(الأخلاق الأوديمية)، و(الأخلاق الكبرى)، وهي ملخَّص للأخلاق الأوديمية، وقد ظن الكثيرون أنَّ الأخلاق الأوديمية قد كتبها (أوديموس)، ولكن ثبتت أنَّها صحيحة النسبة إلى أرسطو، أمَّا في السياسة فقد كتب أرسطو كتاب (السياسة)، وهو صحيح النسبة إليه، وقد توفي قبل أنْ يكمله[17].

5. الكتب الفنية: ألَّف أرسطو في النقد الفني كتاب (الشعر)، الذي يعد أهم الكتب التي عدت الشعر فنًا وليس أداة تعليم، أطلق عليه أرسطو اسم (بويطيقا)[18]، وهي كلمة مستمدة من فعل (poein)، أي ينتج، وما دام الشاعر شأنه شأن كل فنان ينتج خلقًا جديدًا فكلمة (poetic)، تشير بوجه عام إلى الفنون عمومًا، وقد حفل هذا الكتاب بنظريات وآراء عُدّت عماد النقد الأدبي لعصور طويلة، سواء عند العرب أو في العالم الغربي[19]، فَعُدّ مصدرًا من مصادر علم الجمال، والمؤسس لنظرية الأدب. فهذا الكتاب ينتقي مصطلحاته ومفاهيمه من التراجيديا اليونانية، بخلفياتها الأسطورية، وبعد ما اتضحت بنيتها واستقرَّت تقنياتها، ففي أثناء قيام أرسطو بالتنظير للتراجيديا، آثار أفكارًا عدّها الناس، منطلقًا للنظر في فن الأدب عامة، وظل الفكر البشري يستلهمها في دراسته الفنون أمدًا طويلًا[20]. فضلًا عن هذا ألَّف أرسطو في الفن كتاب (الخطابة) وهو دراسة لأساليب الإقناع والحجج المختلفة[21]، وهذا الكتاب أصيل من ناحيتين، الأولى: أنَّه من تأليفه، والثانية أنَّ فكرة الخطابة أصيلة من نفسه، لم يفترضها ممَّن تقدَّمه، صحيح أنَّه تأثر بأفلاطون، وبأفكار السفسطائيين الذين تصدى لهم ولأفكارهم، إلا أنَّ شخصية أرسطو واضحة في كتابة (الخطابة)، كأنَّه المؤلف الأول لتلك المادة البلاغية، فهو خالف كل من سبقوه في الحديث عن الخطابة بين أنواعها وأسسها الفنية، وصلتها بالمنطق الصحيح، وفي كل هذا تتضح

أصالة أرسطو[22]. فقد أراد في كتابيه (الخطابة، والشعر)، أنْ يضع قواعد تساعد على إتقان الفنون، وما تحتاج إليه من وسائل للتفوق في إنتاجها، إنَّه يريد للخطيب والشاعر أنْ يفيدا من كتابيه، ويمران على هذين الفنين من فنون التعبير[23]. وبهذا أصبح كتابيه هما المرجع الأول لكل الدراسات، وبخاصة في النقد والبلاغة، فأرسطو أول من كتب في النقد الأدبي، ووضَّح في كتابه (الشعر) قواعد للبلاغة، بنا عليها طريقته في النقد[24]، وبناءً على ما ذكر، سيكون هذان الكتابان هما الأساس الذي نعتمد عليه، في دراستنا الجمالية والفنية لأرسطو.

ب- مفهوم الجمال عند أرسطو:

يرى أرسطو أنَّ التناسق والانسجام، هما أهم خصائص الجمال، وهذه الصفات يمكن تبيُّنها على نحو موضوعي، إذ الجمال موجود على نحو موضوعي في الأشياء والموجودات، ومن خلال نسبها وأحجامها وتناسقها الصحيح، وهكذا يكون هناك جمال حقيقي في هذا العالم، وهو مصدر الجمال والأعمال الفنية[25].

وعلى هذا الأساس يعرّف أرسطو الجمال بقوله: "إنَّ الشيء الجميل لا ينبغي أنْ تقع فيه الأجزاء مرتبة فحسب، بل ينبغي كذلك أنْ يكون له عظم ويخضع لشروط معلومة، فالجمال يقوم على العظمة والنظام[26].

يفهم من خلال هذا أنَّ الجمال عند أرسطو يعني التنسيق والنظام، أي أنَّ الشيء المكوَّن من أجزاء متباينة لا يتم جماله، ما لم تترتب أجزاؤه في نظام، لأنَّ الجمال الحقيقي يتجدَّد في عنصري النظام والعظمة[27]. فضلًا عن النظام والتناسق، يرى أرسطو أنَّ الشيء الجميل لابد أنْ يكون له حجم محدَّد؛ كي يظهر أكثر جمالًا، لهذا نجده يقول: "إنَّ الكائن العضوي الحي إذا كان صغيرًا جدًا، لا يمكن أنْ يكون جميلًا، لأنَّ إدراكنا له يصبح غامضًا وكأنَّه برهة لا يمكن إدراكها، كذلك عظيمًا جدًا، بأنْ كان طوله عشرة آلاف ميدان مثلاً، إذ في هذه الحالة لا يمكن أنْ يحيط به النظر"[28].

صفوة القول، إنَّ الموضوع الجمالي عند أرسطو سواء كان كائنًا حيًا، أم أي شيءٍ آخر يتكوَّن من أجزاء، لكي يكون جميلاً؛ فأنَّه يجب أنْ ينطوي على النظام في أجزائه، بل ويجب أنْ يكون له شكل معيَّن، لأنَّ الجمال يعتمد على الحجم والنظام.

ج_ صلة الفن بالواقع عند أرسطو:

إذا كان أفلاطون هو فيلسوف المثالية، فأرسطو كان أكبر ممثِّل للفلسفة الواقعية، وهذا التمثيل للواقعية لم يأت من فراغ، ولكن له عدَّة مؤثرات-[29]، فلقد كان من عادة قوم

أرسطو أنْ يدرَّب الطفل لديهم منذ صباه على صناعة أبيه، فلقد لُقِّن أرسطو في طفولته المبادئ العلمية والطبية، منذ حداثة عهده بالعلم والتعليم، ولهذا الواقعية، وبالتالي إلى أنْ يسلك طرائق المبحث التجريبي[30]. لهذا اعتمد أرسطو على المشاهدة والتجربة، وكان للمحسوسات شأن كبير عنده، فقد استخلص الكليات من الجزئيات، والكلي هو الذي لا يوجد بمعزل على الجزئي، و المحسوسات عنده وسيلة من وسائل الوصول إلى الحقيقة، والنفاذ إلى داخلها[31].

بناءً على ذلك أصبحت فلسفة أرسطو تتميز بأنَّ لها منطقًا واقعيًا، تنعكس أثاره في تفكيره، وكتبه، جميعاً، لأنَّ الطبيعة في نظره قوة خلَّاقة، وهي المبدأ المنتج في هذا العالم[32]. ولهذا قسَّم أرسطو الموجودات على ما هو موجود بالطبيعة، وما لا يوجد بالطبيعة، أي يوجد بصناعة الإنسان، أو بالفن وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "إنَّ الموجودات منها ما هي بالطبيعة، ومنها ما هي من قبل أسباب أُخر، والأشياء التي نقول إنَّها بالطبيعة؛ أصناف الحيوان، وأجزاء الحيوان، وأصناف النبات والأجسام البسيطة مثل(الأرض، والنار، والماء، والهواء)، فهذه الأشياء وما أشبهها نقول إنَّها بالطبيعة، هي تتميَّز عمَّا لا يوجد بالطبيعة، بأنَّها تتضمَّن مبدأ الحركة وسكون بعضها في المكان، وبعضها في النمو. ومن جهة أخرى فالسرير والثوب أو غير ذلك، ممَّا هو من هذا الجنس، ليس فيه مبدأ غريزي أصلاً للتغير[33].

من الواضح أنَّ أرسطو قد حدّد موضوع العلم الطبيعي في تلك الظواهر التي تدرك بالحواس، مثل الحيوان والنبات وغيرها، ثم خص هذه الظواهر جميعًا، في احتوائها على مبدأ الحركة والسكون في ذاتها. في المقابل بيّن ما لا يوجد بالطبيعة، أي الأشياء المصنوعة التي يصنعها الإنسان، ويدخل فيها الفن، مثال ذلك مواد الخشب، ولهذا كانت الطبيعة سببًا لوجود السرير. وفي ذلك أرسطو قد يتكوَّن من إنسان إنسان، إلا أنَّه لا يتكوَّن من سرير سرير، ولذلك إنَّ الشكل ليس هو طبيعة، بل الخشب، لأنَّ الذي يتكوَّن عند بلوغ الغصن ليس هو سريراً بل خشبة.

بناءً على ذلك يذهب أرسطو إلى أنَّ الطبيعة قد زوَّدت الإنسان بأقوى الأسلحة، فالطبيعة مدبِّرة قد أتقنت صنعها، وتوجَّته بالإنسان، أبدع آثارها والإنسان بدوره الفني يحاول محاكاتها فيستنتج الفنون، ليكمل بالفن ما بدأته الطبيعة، فهو يتعامل مع مادة وصورة، فيهب

المادة صورة على نحو ما تفعل الطبيعة، غير أنَّ العملية هنا مرجعها إلى الإنسان، والصورة هنا مصطنعة[34].

ولا شك أنَّ الفن بهذا المعنى إنَّما يشير إلى القدرة البشرية بصفة عامة مادام الإنسان هو ذلك الموجود الصانع الذي يستحدث موضوعات، ويصنع أدوات، وينتج أشياء، ويخلق شبه موجودات. وربما كان هذا كله هو العلة في وضع الفلاسفة للفن في مقابل الطبيعة، لأنَّ الإنسان يكون في محاولة دائمة لاستخدامها، وتمثيلها عن طريق الفن، فيطوِّعها لإرادته، ويلزمها بالخضوع لأهدافه والتلاؤم معه. وبالمقابل يرى أرسطو أنَّ الفنان غير ملزم بالنقل الحرفي من الطبيعة والواقع، ولا يعني ذلك أنَّه لا يحاكى الطبيعة، بل يفعل ذلك على أنْ يتجه في فنه إلى ما هو أحسن[35].

وهذا سيتم بحثه بتوسُّع من خلال نظرية المحاكاة عند أرسطو، فضلًا عن ذلك يرى أرسطو أنَّ الفن يتميز عن الطبيعة، وإنْ كان يشبهها في جوانب عدَّة، لأنَّ الكائنات العضوية تنتج نوعها، وفيما يتعلَّق بالإنتاج فالتوالد يشبه الفن، لكن التوالد لا ينتج في الكائن الحي إلا ذاته، فالنبات مثلًا ينتج نباتًا، والإنسان ينتج إنسان، في حين ينتج الفنان شيئًا مختلفًا تمامًا، إنَّه ينتج قصيدة، أو صورة أو تمثالًا[36].

وبناءً على ما سبق، يمكن لنا أنْ نلحظ أنَّ الفن عند أرسطو مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالطبيعة، لأنَّ فلسفة أرسطو بصفة عامة هي فلسفة واقعية.

ثالثاً: أرسطو والنقد الفني.

قبل الاسترسال في الحديث عن (النقد الفني) عند أرسطو، ينبغي أنْ نسجِّل حقيقةً أساسيةً، وهي أنَّ المادة المحسوسة التي يتخذها الفنانون غالبًا لصوغ وجدانهم، هي التي تحدِّد نوع الفن، فمتى توصَّل الفن إلى غايته الجمالية بمادة اللغة كان أدبًا، ومتى أتخذ الأنغام مادة له كان موسيقى، وحين يسعى إلى غايته بمادة الألوان والخطوط كان رسمًا، وإذا كانت مادته الأشكال كان نحتًا، أمَّا متى كانت الحركات وسيلة إلى الهدف الجمالي فإنَّ الفن حينئذ يكون رقصًا، وعلى هذا الأساس كانت الفنون الجميلة خمسة أنواع رئيسية، تختلف باختلاف مادة التعبير. وكما أنَّ الفنون الجميلة أنواع، فهي كذلك درجات، ومهما اختلفت الآراء في تصنيف رتبها، فإنَّها تجمع على أنَّ الأدب رأس الفنون، ولاسيما الأدب في قالب الشعر، وهذا ما أكَّده أرسطو عندما وصف شعر المآسي بأنَّه أفضل أنواع الفن بصفةٍ عامة، والشعر بصفة خاصة، لأنَّ الشعر إضافة إلى مادة الفن الأدبي، وهي ألفاظ اللغة، يشتمل

على مواد سائر الفنون الجميلة الباقية، بما يتوافر له من عناصر النغم الموسيقي، النابع من الوزن والقافية، ومن تزاوج الحروف والألفاظ وغير ذلك من ضرورة الإيقاع[37].

ومتى يعُد الأدب في الدرجة العليا من الفن، فضلًا على أنَّه الوحيد الذي يصنع الجمال بمادة الكلام المقترن بدلالات الفكر وأبعاده المباشرة.

بناءً على ذلك يتحدَّد النقد عند أرسطو أساسًا في النقد الأدبي المتمثِّل خاصة في الشعر والنثر، ومن هنا يحق لنا أنْ نتساءل ما العوامل التي حثت أرسطو إلى العناية بالأدب والشعر.

أ. العوامل التي دفعت أرسطو إلى العناية بالأدب والشعر:

إنَّ عناية أرسطو بالأدب والشعر لم تأت من فراغ، بل هناك عدَّة عوامل حثت أرسطو إلى الاهتمام بالأدب، وهذه العوامل تتمثل في:

1ـ نشأته في بيئة ملكية كان يتردَّد عليها العلماء والبلغاء، إذ كان والده طبيبًا (لفليب) والد (الإسكندر الأكبر) الذي عمل أرسطو على تعليمه بناءً على طلب والده، وكان الإسكندر يومها في الثالثة عشر من عمره، حيث تأثر إسكندر بآراء أستاذه، وبعد أنْ تولّى الإسكندر الحكم بقى أرسطو مرافقًا له، وكان الإسكندر لا يبرم أمرًا دون استشارته، ونتيجة لهذا كان من الطبيعي أنْ يتأثر أرسطو بالجو الثقافي والعلمي، الذي عاش فيه داخل قصر الإسكندر[38].

2. أقام أرسطو في أثينا، وهي التي تتخذ من المسرح معبدًا لها، ولا يشغلها شاغل عنه، أمَّا محافلها فتزخر بالشعراء والخطباء، فأعجب أرسطو بقدرتهم على الارتجال، ولاحظ مواقفهم في الخطابة، وعرف طرائقهم في الإعداد لها، حتى عرف تلك الفنون وأسباب الإجادة والإخفاق فيها[39] ثم ازدهر الشعر في أثينا ازدهارًا رائعًا، كما ازدهر أيضًا في مقدونيا التي ارتحل إليها أرسطو مربيًا للإسكندر، فما كان لأرسطو أنْ يغفل هذا الجانب من النشاط الروحي الإنساني، حيث طريقته في كتاب(فن الشعر)، تدل دلالة قاطعة على أنهً كان كثير التردد على المسارح، والاستماع إلى الشعر.

3. تأثير الوسط الذي نشأ فيه أرسطو، وهو الأكاديمية الأفلاطونية؛ فعلى الرغم من أنَّ أفلاطون دعا إلى طرد الشعراء من (مدينته الفاضلة)، إلا أنَّه لم يجد من بين الفلاسفة من كان أفضل بالشعر، وأغنى بالشاعرية من أفلاطون، فمحاوراته يسري فيها عرق شعري دافق، وقد ظهر هذا التأثير خاصة في مؤلفات أرسطو الأولى، حينما كان تلميذًا في

الأكاديمية، إذ ألَّف رسائل صغيرة بأسلوب الحوار الأفلاطوني، تغلب عليها الصناعة الشعرية وسعة الخيال[40].

بناءً على ذلك فإنَّ تأثير هذه العوامل عند أرسطو نجده في عنايته بالتأليف في موضوع الشعر، والشعراء، والمسرح، كانت صدى لعناية النقاد بالشعر والمسرح في اليونان، فما كان لأرسطو أنْ يتغاضى عن اهتمام أمته بالفنون والآداب، وهي تسكن منها سويداء قلبها، وبذلك صرف جانبًا كبيرًا من اهتمامه إلى الفن، وبدأ يتردَّد على مشاهدة المسرحيات، ويدرس نصوصها؛ ليحدِّد بنيتها، وأعمل فكره فيها، فأخذ يستنبط قواعدها، ويرسم المعايير التي يهتدي بها النقاد[41].

وقد فعل كل ذلك معتمدًا على ملاحظته وإحساسه المرهف، فكانت عبقريته انتصارًا لنقاد البصيرة النقدية، فكان أول ناقد نظر إلى النقد كعلم، فكان في نقده للشعر عالمًا فيلسوفًا، دقيق الملاحظة للطبيعة والفن. لقد أدرك مكانة شعراء التراجيديا الكبار، وكان عليه أنْ يقف عند المأساة وقفة طويلة يدرسها ويحلِّلها، وينظر لها نظرة عالم الحياة إلى كائن عضوي يقبل النمو والاندثار.

لذلك اختار أنْ ينظر في مآسي الفترة العظمى في الدراما الإغريقية، والتي تتمثَّل في أعمال أيسخيلوس، وسوفوكليس، ويوربيدس.

فهو ينطلق من النصوص، ولا يضع أفكارًا مسبقة، لأنَّه يتناولها بالقراءة والفحص، والتأمل، فيكشف ما بين النصوص من صفات، وما بينها متشابهات، واختلافات، فاتضحت له معالم الملحمة، والتراجيديا، والكوميديا، ولكل منها صفات، وتبيَّن له الفرق بين الشعر والتاريخ والفلسفة[42].

ب- أرسطو بين دراسته الشعر، ودراسة التاريخ:

لقد كان لكتابة التاريخ أهمية خاصة في عصر أرسطو، وعلى الرغم من ذلك لم يهتم أرسطو بها اهتمامًا كبيرًا، بل فضَّل عليها دراسة الشعر[43]؛ لأنَّ مهمة الشاعر الحقيقية كما يرى أرسطو ليست في رواية الأمور كما وقعت فعلًا، بل رواية ما يمكن أنْ يقع، أي أنَّ مهمة الشاعر أنْ يروي ما حدث، فهو لا يسجل تعاقبًا للحوادث كما وقعت، بل إنَّ أهمية الشعر أعظم من ذلك بكثير، فالشعر شيء أقرب إلى الروح الفلسفية من التاريخ، وأرفع منه، إذ الشعر عند أرسطو يتجه إلى التعبير عن الكلي، بينما التاريخ يعبر عن الجزئي[44]، وبعد توضيحه مكانة الشعر، يحدِّد أرسطو الفرق بين المؤرخ والشاعر، فيرى أنَّ المؤرخ والشاعر،

لا يختلفان بكون أحدهما يروي الأحداث شعرًا، والآخر يرويها نثرًا، وإنَّما يتميزان من حيث كون أحدهما يروي الأحداث التي وقعت فعلًا، في حين الآخر يروي الأحداث التي يمكن أنْ تقع، ولهذا كان الشعر أوفر حظًا، وأسمى مقامًا من التاريخ(45).

إذن التاريخ بهذا المعنى، هو التاريخ الإخباري الذي يروي الوقائع دون استخراج الفلسفة الكامنة وراءها، وسمو الشعر على التاريخ بهذا المعنى يأتي من كون الكلي أسمى من الجزئي، ولهذا كان الشعر عند أرسطو أرفع شأنًا من التاريخ، وأكثر قيمة؛ لأنَّ التاريخ لا يتناول إلا الجزئي كجزئي، وإنَّه لا يحاكي إلا الواقعة ولا يحلِّل لنا إلا ما حدث، وحقيقته هي الدقة، وليس فيه –كما في الشعر– الحقيقة الحقَّة الخالدة إنَّه لا يتناول المثال، وهو لا يقدِّم لنا سوى المعرفة بشيءٍ، لأنَّه حدث ولَّى، وهو شيء متناه، وموضوعه عابر ومتلاشٍ، فهو لا يهتم إلا بالحوادث العابرة، لكن موضوع الشعر هو تلك الماهية الداخلية للأشياء والحوادث.

لهذا إذن كان علينا –كما يرى أرسطو_ أنْ نرتب الفلسفة والشعر والتاريخ بترتيب نبالتها الجوهرية وصدقها، فإنَّنا يجب أنْ نضع الفلسفة في المقدمة؛ لأنَّ موضوعها هو الكل، كما هو في ذاته، وعلينا أنْ نضع الشعر في المرتبة الثانية، لأنَّ موضوعه الكلي في الجزئي، والتاريخ في المرتبة الأخيرة، لأنَّه لا يتناول إلا الجزئي كجزئي(46).

يفهم ممَّا سبق أنَّ أرسطو قد قلَّل من أهمية التاريخ، ووضعه في المرتبة الأخيرة، بعد الفلسفة والشعر، لكن أرسطو غاب عن ذهنه أنَّه لولا التاريخ لما وصلتنا أخبار الفلاسفة والشعراء.

فضلاً عن ذلك أنَّ الشعر قد يكون هو نفسه تسجيلًا لأحداث تاريخية سابقة، وهذا ما أكَّده الباحثون بالنسبة إلى ملاحم هوميروس، فقد عدّوها من المصادر التاريخية التي تساعد على معرفة الكثير من الحوادث التاريخية.

ج– أسلوبه ومنهجه في الدراسات الفنية والنقدية:

إنَّ أرسطو لا يعبأ إطلاقًا بالزخرفة وبجماليات الأسلوب، وهو يستبعدهما تمامًا من عمله، والشيء الوحيد الذي يستهدفه هو المعنى، أي أنْ تكون الكلمات معبِّرة، وهو شغوف للغاية بالفلسفة، فلا يفقد نفسه في ضباب الكلمات الجميلة، أو يعتني بالتشبيهات والاستعارات بدلًا من الأسباب، بل إنَّ أسلوبه –حتى وإنْ كان جافًا ومباشرًا وفاقدًا للجمال

أحيانًا– لكنَّه يتسم بوضوح التصور؛ لأنَّ كل فكرة يرغب في التعبير عنها لها مصطلح محدَّد(47).

فهو يُعد واحدًا من أكثر مبتدعي المصطلحات في العالم، والمؤسس الأول لعلم المصطلحات الفلسفية، فقد كرّس مقالة بأكملها في كتابة (ما بعد الطبيعة)، لدراسة المصطلحات المتعلِّقة بالفلسفة عمومًا، وبفلسفته الخاصة به، وبلغ عدد المصطلحات التي درسها أرسطو ثلاثين مصطلحًا، بهذا عني عناية عظيمة بتحديد معاني الألفاظ، ووضع ألفاظ جديدة في العلوم، وفي الفلسفة ذاعت في لغته، ونقلت إلى اللغات الأوروبية، وإلى اللغة العربية(48).

أمَّا بالنسبة إلى منهجه في الدراسات الفنية، فقد اتبع أرسطو طريقة الاستقراء(*)، حيث لجأ إلى مجموعة كبيرة من الأعمال الفنية، وبخاصة المسرحيات والأشعار، ولكنَّه في الوقت نفسه لم يجعل النماذج تفرض عليه **آرائها**، وإنَّما حافظ على عنصر القيمة، أي حافظ على الرؤية الفلسفية المسبقة فكان منهجه منهجًا جدليًا يدرس العلاقة بين العمل الفني كما يجب أنْ يكون، وبين العمل الفني كما هو محقَّق، وهو يحاول أنْ يستخلص قانونًا كليًا، يربط بين عناصره من دون الإغراق في الدراسات الصورية، والاقتصار على جوانب الشكل درس المحتوى، والصياغة، وربط كل هذا بالإنسان، ولم يتحدَّث عن فن بعينه، بل كان يستهدف أغلب الفنون(49). ولهذا فهو قد نظر إلى الشعر باعتباره نشاطًا إنسانيًا، ففحصه بطريقة استقرائية، وبأسلوب العالم الطبيعي، يراقب، ويقارن، ويحلِّل و يستقرئ ويصنِّف، فاكتشف المكوِّنات الأساسية للعمل الأدبي التي يتوصَّل بها لتحقيق فاعليته وتأثيره.

فضلاً عن ذلك عني أرسطو بتدعيم آرائه ونظرياته، فلم يلقِ بها نظريات مجرَّدة، بل ذكر لها أمثلة تشهد بسعة اطلاعه، وتبحُّره في الأدب اليوناني السابق والمعاصر له، وقد دفعه الوضع الثقافي في عصره، إلى أنْ ينزل الشعر مكانةً أسمى، ويعلي من شأن المسرحية والملحمة، يفاضل بين المأساة والملحمة والملهاة، وينتهي بتفضيل المأساة، مخالفًا بذلك أستاذه أفلاطون الذي فضَّل الملحمة(50).

رابعاً: خصائص الأسلوب لكل من الشعر، والنثر:

يرد الأسلوب في كلام أرسطو عامًا وشاملًا للشعر والفنون جميعًا، والذي يهمنا بهذا الخصوص هو الأسلوب كما يرد في كتاب (الخطابة) لأرسطو، وهو التعبير ووسائل الصياغة، وتظل غاية الأسلوب في كل معانيه هي الإقناع عند أرسطو، لأنَّه لا يكفي أنْ

يعرف المرء ما يجب أنْ يقوله، بل عليه أيضاً أنْ يعرف كيف يقوله، وهذا يسهم كثيرًا في إظهار الكلام بطابع معيَّن.

حيث يرى أرسطو أنَّ الشعراء هم أول من نهضوا بالأسلوب؛ لأنَّ الكلمات محاكاة، والصوت هو أحسن الأجزاء صلاحية للمحاكاة.

ولمَّا نال الشعراء شهرتهم عن طريق أسلوبهم، فأول أسلوب وجد هو الأسلوب الشعري(51)، ولهذا فأرسطو يرى أنَّ للأسلوب صفات أو مزايا يجب أنْ تتوافر له، شعرًا كان أم نثرًا، وهي تتمثَّل في الآتي:

أ- الوضوح: إنَّ وضوح الأسلوب شرط لجودته؛ لأنَّ الكلام الذي يعجز عن أداء معناه بوضوح، فأنَّه لا يؤدي وظيفته الخاصة، ولمَّا كانت الأسماء والأفعال هي عناصر القول، فأنَّه ينبغي ألا يستعمل منها الأسماء الغريبة أو المبتدعة إلا نادرًا، وفي مواضع قليلة، أمَّا فيما يتعلَّق بالكلمات الغامضة أي المشتركة بين معان كثيرة، فأنَّها وسيلة يلجأ إليها السفسطائيون لتضليل سامعيهم(52).

ب . صحة الأسلوب: وهي أساس جودة الكلام، وتستلزم هذه الصحة أمورًا منها: صحة استعمال الكلمات التي تربط الكلام بعضه ببعض، ومن هذه الكلمات متعلِّقات الفعل والاسم، فلا يصح أنْ يدخل فيها تقديم أو تأخير، أو فصل بينهما وبين معلَّقاتها بحيث يضطرب المعنى(53).

ويمثل أرسطو لذلك بجملة للفيلسوف(هيرقليطس) أحد الفلاسفة الطبيعيين الأوائل، حيث يرى بأنَّه على الرغم من أنَّ الناس لا يعتقدون في الحقيقة، فلا يدري بما يتعلَّق على الدوام. هل بالحقيقة أم بالفعل بعدها؟ وما تستلزمه صحة الكلام، كذلك أنْ تسمَّى الأشياء بأسمائها، ويقصد أرسطو بذلك إلى أنَّه لا ينبغي أنْ يأتي المتكلم بكلام عام يحمل وجوهًا كثيرةً، فلم تتم به الفائدة. إلا إذا قصد المتكلم إلى الغموض(54).

ج- دقة الأسلوب: المقصود بها أنْ يتجنَّب الخطيب ما لا مبرِّر به من ابتذال أو سمو، ولغة الشعر يجب أنْ تكون بريئة من كل ابتذال، وعلى الشاعر أنْ يعمد إلى الألفاظ غير الشائعة، لأنَّه في مقام إثارة الانفعالات، وبهذه الألفاظ يجذب أنظار سامعيه، لأنَّه يصف حياة الأبطال في الملاحم، ويحاكي ما يثير الرحمة والخوف في المأساة، وفي كل هذه إثارة لمشاعر ليست ممَّا تجري به العادة(55).

ويرى أرسطو أنَّ الأمور الثلاثة السابقة (الصحة، والوضوح، والدقة) يجب أنْ تتوافر في جميع أنواع الأسلوب على خلاف يسير في قليل من الاعتبارات الخاصة بالشعر أو النثر، ولكن أسلوب الشعر يتميَّز عن النثر بشيئين آخرين: هما الوزن واستعمال المجازات، وهذا ما سنوضحه فيما سيأتي:

1. لغة الشعر: موزونة، وأوزان الشعر مختلفة، ولكل وزن ما يلائمه من المعاني، والأجناس الأدبية، وأمَّا لغة النثر فليست موزونة، وينبغي ألا تكون الخطبة في عبارات موزونة؛ لأنَّ الوزن يقضي على ثقة السامعين، ويصرف أنظارهم إلى شيء آخر في نفس الوزن، ولكن ينبغي ألَّا تكون الخطبة خالية من الإيقاع، لأنَّه يساعد على الإقناع، فالنثر إذن ينبغي أنْ يكون إيقاعيًا، وغير موزون(56).

2ـ **أمَّا فيما يخص الأسلوب:** من وجوه المجاز ومواضع استعماله، فهي أمور مردّها إلى الابتكار، وإلى الناثر، أو الشاعر؛ لأنَّ الابتكار في الأسلوب يصدر عن موهبة طبيعية، أو طول مران.

وخير الكلام هو ما تظهر فيه أفكار جديدة في يسر، فعندما يدعو الشاعر الشيخوخة (الغصن الذابل)، يثير فيها فكرة جديدة، وحقيقة جديدة، بواسطة مبدأ مشترك بين الأمرين، وهو وجه الشبه، فالمجاز يكسب الكلام وضوحًا، وسموًا، وجاذبيةً، وهو ذو قيمة كبيرة في الشعر والنثر، ولكن الكُتّاب أحوج إليه من الشعراء، لأنَّ مواردهم الأخرى في الأسلوب انصبت من موارد الشعراء(57).

3. سلامة الأسلوب: بعد أنْ وضَّح أرسطو خصائص الأسلوب في الشعر، والنثر ينتقل بعد ذلك ليوضح كيف تتم سلامة الأسلوب، فيرى أنَّ السلامة تتوقَّف على خمس قواعد.

أ. أنْ توضع الروابط بين الأشياء والأفعال في أماكنها المناسبة، فإذا وضعت في غير أماكنها وفصل بينهما وبين ما يتعلَّق بها، أصبحت الجملة غامضة، والمعنى مضطربًا، واتساقًا مع هذا المعنى ذكر أرسطو مثالاً يوضِّحه: "أمَّا أنَّا فإنَّني بعد أنْ أخبرني –لأنَّ فليون جاء متوسلاً ضارعًا– مضيت وأخذتهم معي، ففي هذه العبارة تداخلت كثير من أدوات الربط، فلمَّا صارت المسافة بين (فإنَّني) وبين (مضيت) طويلة جدًا، نتج عن ذلك غموض، إذن القاعدة الأولى هي أنْ تستعمل الروابط استعمالًا سليمًا.

ب . هذه القاعدة تقوم على تجنُّب الألفاظ المشتركة المعاني، مثال ذلك: أولئك الذين ليس لديهم ما يقولونه، لكنَّهم مع ذلك يدعون أنَّهم يقولون شيئًا – عن طريق الشعر– فالدوران في الكلام يضلِّل السامعين.

ج– أنْ تستعمل ألفاظ خاصة لا عامة، أي أنْ تستعمل الأسماء المعبِّرة عن المراد دون اللجوء إلى كلمات كثيرة في سياق يمكن أنْ يعبَّر عنه بكلمة واحدة"[58].

د– القاعدة الرابعة، تتمثل في تمييز الجنس مذكرًا أو مؤنثًا، ويذكر أرسطو أنَّ بروتاجوراس وضع هذا التميز.

هـ– القاعدة الأخيرة، تقوم على مراعاة العدد، وفقًا لكونه كثيرًا أو قليلًا، واحدًا أو جمعًا[59].

ذلك موجز ما قاله أرسطو في خصائص الأسلوب، وكيف تتم سلامته عن طريق إتباع بعض القواعد، وقد راعى في كل ما قاله، كثير من تفاصيل مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ولهذا فإنَّ ما أضافه أرسطو إلى الأدب ونقده، جعل مؤرخي النقد، يحرصون على ربط النظرية النقدية بأصولها الإغريقية، ويعدُّون أرسطو عمدة النقد في تاريخ النقد الأدبي، وقد عدَّه كثيرون المؤسس الحقيقي للنقد، وواضع المواد النقدية لمن جاء بعده، إذ كان أول مفكِّر يشغل نفسه بالنقد الأدبي، ويخلق تراثًا فيه تتناوله العصور بالتغيير والتأويل، بهذا كان أرسطو هو عمدة النقد التي تخترق الزمان، حيث كانت الاتجاهات النقدية على مد العصور تعده رائدًا في مجالها[60].

خامساً: أرسطو ونظرية المحاكاة:

إذا كان أفلاطون قد ألمح بازدراء إلى نظرية المحاكاة، فإنَّ أرسطو اعتمدها أساسًا لفلسفته الفنية؛ لأنَّ مفهوم المحاكاة عند أرسطو يختلف عن مفهومها عند أفلاطون اختلافًا جوهريًا نابعًا من اختلاف النظرة الفلسفية عندهما، فأفلاطون كان ذا نزعة مثالية في حين كان أرسطو ذا نزعة واقعية تجريبية، ومن ثم لم يذعن أرسطو لنظرية أستاذه في المثل، فيكبِّل الفن بقيود الفلسفة، وإذا كانت المحاكاة عند أفلاطون نظرية فلسفية، فإنَّها عند أرسطو نظرية فنية[61].

من هذا المنطق حدّد أرسطو الفن بأنَّه محاكاة، وجعل الفنون الجميلة أنواعًا من المحاكاة، فطبَّق هذا المفهوم على الموسيقى والرقص والشعر والرسم، فكل هذه الفنون تحقِّق

المحاكاة مع الاختلاف في الوسائل التي يستعملها الفنان في وقته، فالرّسام يحاكي بواسطة الألوان والرسوم كثيرًا من الأشياء التي يصوِّرها، أمَّا بالنسبة إلى الموسيقى، والرقص، والشعر، فهذه الفنون تحقِّق المحاكاة بواسطة الإيقاع، واللغة، والوزن، إمَّا مجتمعة وإمَّا متفرِّقة، فالإيقاع والوزن يستعملان في الموسيقى، والوزن، واللغة معًا[62]. كما تختلف الموضوعات التي يحاكيها الفنان، فالشعراء يحاكون إمَّا من هم أفضل منا، وإمَّا أسوأ، وإمَّا مساوون لنا، شأنهم شأن الرسَّامين، وفي الرقص والموسيقى قد تقع نفس هذه الفروق[63].

وثمَّة فارق ثالث يتوقَّف على طريقة المحاكاة، وهذا الفارق يحدِّده أرسطو خاصة في الشعر، فلمَّا كان الشاعر محاكيًا شأنه الرسَّام، وكل فنان يصنع الصور، فينبغي له أنْ يتخذ إحدى طرائق المحاكاة الثلاث: إمَّا أنْ يحاكي الأشياء كما هي في الواقع، وإمَّا أنْ يحاكيها كما يقال عنها أو تظن، وإمَّا أنْ يحاكيها كما ينبغي أنْ تكون[64]. وفيما يلي توضيح مبسَّط لهذه الطرائق:

1. أنْ يحاكي الأشياء كما هي في الواقع، يقصد أرسطو بذلك، أنْ يراعي الشاعر نماذج الواقع ليكشف عمَّا يريده من وراء تصويره للواقع من إكمال له[65].

2. أنْ يصور الأشياء أو الأشخاص كما يراهم الناس، ويعتقدون فيهم، وذلك ممَّا يسهِّل الاعتقاد في التصوير العام، وفي مجرى الأحداث لو كان وقوعها محالًا كما في الأحاديث عن الأساطير واستخدامها في الشعر، حيث اشتهرت أنَّها منبع خصب للمسرحيات، ومن وراء تصويرها قضايا نفسية ووجدانية، تسهل صياغتها لدى الجمهور المعتقد فيها– كما في القصص الخاصة بالآلهة مثلاً، فلعل الشعراء إنَّما يروون قصص الآلهة لا على الوجه الأمثل، ولا على وجه الصدق، بل على وفق الرأي الشائع[66].

3ـ الشاعر عند أرسطو يجمع صفات فيما يصور من شخصيات؛ ليجعلهم ملحوظين لدى الجمهور، سواء في صفات الكمال، أم في صفات النقص، وعلى حسب ما يضيفه أرسطو وليكمل رأيه في هذه الطريقة يقول: "بما أنَّ المأساة محاكاة لأناس أفضل منّا فعلينا أنْ نتبع مهرة الرسامين، فهؤلاء حين يريدون تقديم صورة خاصة من الأصل، يرسمون صورة أجمل من الأصل، وإنْ كانت تشابهه، وهكذا حال الشاعر، فإذا حاكى أناسًا شرسين أو جبناء، نقيصة من هذا النوع في أخلاقهم، فعليه أنْ يجعل منهم أناسًا ملحوظين فيما هم عليه"[67].

وهكذا يرى أرسطو أنَّ الفنون الجميلة تفترق على ثلاثة أنحاء: باختلاف الوسيلة المستعملة في المحاكاة، أو باختلاف طريقة المحاكاة.

وعلى هذا الأساس لابد أنْ نشير إلى أنَّ مفهوم الشعر عند أرسطو ينحصر أساسًا في المحاكاة، وهو أرقى الفنون محاكاة لأنَّه يروي الكلي، كما أنَّ الشعر عنده نشأ أصلًا عن ميول ونزعات راسخة في الطبيعة الإنسانية، وهي النزعة إلى المحاكاة، والنزعة إلى الانسجام والإيقاع، فغريزة المحاكاة مغروسة في الإنسان منذ طفولته، والفرق الرئيسي بين الإنسان، وسائر الحيوانات هو أنَّه أشدُّ المخلوقات الحية محاكاة[68]. ولهذا يرى أرسطو أنَّ الشعراء محاكون، أي يحاكون أفعالًا يكون أصحابها إمَّا أخيارًا أو أشرارًا، لأنَّ اختلاف الأخلاق يكاد ينحصر في هاتين الطبقتين، إذ تختلف أخلاق الناس جمعيًا ما بين الرذيلة أو الفضيلة، فالشعراء في نظر أرسطو يحاكون إمَّا أشر منَّا، وإمَّا مساوون لنا شأنهم شأن الرسامين[69]، وهذه المحاكاة تستلزم أنْ يكون الشاعر موضوعيًا، وعن طريق تصويره الصادق لمواقف الإنسان، تعمل المحاكاة عملها ويرتب الشاعر هذه المواقف، بحيث تبدو نتائج ضرورية أو محتملة لما ساق من وقائع، ولهذا ينصح أرسطو الشعراء بتركهم الوقائع تبيِّن بنفسها عن نتائجها موضوعيًا دون تدخُّل منهم[70].

فضلاً عن ذلك يرى أرسطو أنَّ أقدر الشعراء على المحاكاة هم من يستطيعون مشاركة أشخاصهم في مشاعرهم، والتكيف مع أحوالهم، والذين عاشوا التجربة الأدبية نفسها، والحق عند الإيحاء أولئك الذين تتملكهم العواطف، ولهذا فالشعر من شأن الموهوبين فطرةً، وبذلك يشير أرسطو أنَّ أقدر الشعراء تعبيرًا عن الإيحاء أولئك الذين تتملكهم العواطف، ولهذا فالشعر من شأن الموهوبين فطرةً، وبذلك يشير أرسطو إلى السر الكامن وراء الخلق الفني لدى الإنسان، ويرجِّعه إلى سببين يتعلقان بالطبيعة البشرية، الأول: هو الرغبة في التقليد التي فطر عليها المرء، ويعد الإنسان أقدر المخلوقات على المحاكاة، وبسببها يتعلم ويكشف المهارات والعادات المختلفة. والثاني: هو اللذة التي يشعر بها الإنسان عند النظر إلى الأشياء المحكية[71].

وهذا يعني أنَّ الفنان إنَّما يختلف عن عامة الناس بمقدرة فائقة، على المحاكاة وشعور قوي باللذة، وفي إطار الحديث عن المحاكاة لابد من الإشارة إلى أنَّ أرسطو يعنى بها من حيث وظيفتها الفنية في الشعر، ولاسيما شعر المآسي أو التراجيديا؛ لأنَّ حديثه عن المحاكاة جاء في إطار تأسيسه لنظرية التراجيديا، والوظيفية الفنية للمحاكاة مرتبطة بطبيعة

الأحداث وترتيبها، كما أنَّها مرتبطة بالشخصيات وخلقها، وهذه كلها من وسائل التصوير الشعري، ومن ثم قرنها أرسطو بالرسم، حيث يرى أنَّ الشعر والرسم والفنون جميعًا، لا تقتصر مهمتها على رسم الظواهر، بل تصور كلها الأخلاق والوجدانات والانفعالات[72]، وبذلك تظل الطبيعة نموذجًا للفن ومعيارًا له، وإنْ أكملها الفن بوسائلها، فالفن يجمل الطبيعة ويهذِّبها، وهذا ما أكَّده أرسطو بقوله: "إنَّنا نجد الفن في بعض الأشياء يُتم نقص الطبيعة، فيما تضعف الطبيعة عن استقام فعله، وفي بعض الأشياء يتقبَّلها[73].

خلاصة القول إنَّ المحاكاة عند أرسطو هي قوام الفن، لكنَّها ليست تقليدًا أعمى للطبيعة أو نسخًا لما هو موجود، لأنَّ الرسَّام يمكن أنْ يقدِّم صورةً أجمل ممَّا في الواقع بما يزيد من عنده من ذوق في الألوان، كذلك الأمر بالنسبة إلى الشاعر فهو يمكن أنْ يصوِّر الأشخاص، أسمى ممَّا هم عليه في الواقع أي كما يجب أنْ يكونوا، وبذلك يكون الشعر الجيد عند أرسطو في جودة المحاكاة، ومقياس الرداءة في رداءة المحاكاة.

الخاتمة:

ممَّا سبق تخلص الباحثة إلى أنَّ جمالية أرسطو الواقعية تبدو من الوهلة الأولى، أنَّها معارضة لآراء أستاذة أفلاطون، فعلى الرغم من كونه تلميذًا له، إلا أنَّه يُعد معارضًا له في الكثير من آرائه، ولكنه في الوقت نفسه متأثرًا ببعض آرائه. فأرسطو لم يتجاهل الحقيقة المحسوسة، ولكنَّها كانت هدفًا لدراسته،؛ لأنَّه كان أكبر ممثِّل للفلسفة الواقعية، وقد طبَّق هذه الواقعية على نظريته في الفن، فتجسَّدت هذه الواقعية، في الأسلوب والمنهج الذي اتبعه في أبحاثه الفنية، ولاسيما في كتابيه (الشعر، والخطابة)، فقد اعتمد فيهما على الآثار الفنية السابقة له، لأنَّ هذه الآثار كان لها أثر بالغ في صياغة نظرياته الفنية، وهذا يعني أنَّه وضع أسس وقواعد في الفن، مرتكزًا على الوقائع والإنتاج الملموس، وقد اتضحت هذه الواقعية كذلك في مفهوم الجمال، فأرسطو يرى أنَّ التناسق والانسجام من أهم خصائص الجميل، وهي صفات يمكن تبيُنها على نحو واقعي، أي أنَّها صفات موجودة في الأشياء من خلال نسبها وأحجامها، وبهذا يؤكد على أنَّ هناك جمالاً حقيقيًا في هذا العالم، وهو مصدر وعينا الجمالي وأعمالنا الفنية، فضلًا عن ذلك كان أرسطو هو عمدة النقد عند اليونان، فهو الذي أخرج النقد ممَّا كان يسوده من اضطراب إلى ميدان منظَّم، وبذلك كانت نظريته في النقد هي الأساس الذي يعتمد عليه النقاد، كما كشف أرسطو عن صلة الفن بالواقع من خلال (المحاكاة)، فالفن عنده هو محاكاة الطبيعة، والفنان يستمد أصول عمله الفني من

الواقع، ولكنَّه يسعى جاهدًا لتعديله وتحسينه حتى يسمو فوق الواقع، ولكنَّه لا يتجاوزه إلى عالم علوي مثالي، على نحو ما ذهب أستاذه، وبهذا يفسح المجال لتدخُّل أراء الفنان في خلقه للعمل الفني ويطوره حسبما يتراءى له.

هوامش البحث ومراجعه:

1) ميشال عاصي: الفن والأدب، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط1، 1970، ص60.

2) ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص 685.

3) سورة النحل: الآية (6).

4) عبد الله العلايلي: الصحاح في اللغة والعلوم، ج1، دار الحضارة، بيروت، ط1، 1984، ص209.

5) الطاهر أحمد الزاوي: مختار الصحاح، الدار العربي للكتاب، ليبيا، تونس، ط3، 1978، ص209.

6) هاني يحي نصري، الفكر والوعي، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1998، ص 117.

7) روزنتال– لودين: المجموعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ط 1987،6– ص 168.

8) جميل صليبيا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 408.

9) زكي نجيب محمود: الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار العلم، بيروت، ص 280.

10) جميل صليب: المعجم الفلسفي– مرجع سبق ذكره– ص 410.

11) محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، ج1، مكتبة – بيروت، ط1، 1996، ص 570.

12) مصطفى النشار: نظرية المعرفة عند أرسطو ، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1995، س15.

13) وولتزوستيبس: الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم، دار الثقافة، القاهرة، ط1، 1953، ص 213.

14) أمبر حلمي مطر: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار المعارف، القاهرة، 1988، ص 245.

15) محمد عبد الرحمن مرحباً: تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلنستية، مؤسسة عز الدين– بيروت، ط1993،1، ص 261.

16) محمد فتحي عبد الله: أرسطو والمدارس المتأخرة، دار المعارف، الإسكندرية، ص 11.
17) محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 63.
18) رمضان بسطاويسي: جماليات الفنون وفلسفة تاريخ الفن عند هيجل- المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط1- 1992، ص 10.
19) أميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال، دار قباء، القاهرة، 1998، ص68.
20) عبد الرحمن بدوي: أرسطو ، دار العلم، بيروت، ط2، 1980، ص 56.
21) لويس غردية وقنواتي: فلسفة الفكر الديني بين بين الإسلام والمسيحية، ترجمة صبحي الصالح، والأب فريد جبر، ج1، دار العلم الملايين- بيروت، ط2، 1988، ص178.
22) عباس ارحيلة: الأثر الأرسطي في النقد، البلاغة العربيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1999، ص 284.
23) سهير القلماوي: فن الأدب، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط1، 1959، ص 92.
24) قدامة بن جعفر: نقد الشعر: تحقيق محمد عبد المنعم، خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 14.
25) نوكس: النظريات الجمالية: ترجمة محمد شفيق شيا، منشورات الثقافة، بيروت، ط1، 1985، ص20.
26) أرسطو : فن الشعر ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط1، 1973، ص 23.
27) رواية عبد المنعم، فلسفة الفن وتاريخ الوعي الجمالي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص71.
28) أرسطو : فن الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 24.
29) جان لا كوست: فلسفة الفن، دار المعرفة، القاهرة، ج1، ص57.
30) محمد فتحي عبد الله: أرسطو والمدارس المتأخرة، مرجع سبق ذكره، ص7.
31) غادة المقدم عدرة: فلسفة النظريات الجمالية، جروس برنس، طرابلس- لبنان، ط1، 1996، ص58.
32) عادل العوا: المذاهب الأخلاقية، ج1، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1958، ص81.

33) أرسطو : الطبيعة، ترجمة : إسحاق بن جيتين، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ج1، الدار القومية، القاهرة، 1964، ص79.

34) أرسطو : الطبيعة: المصدر السابق، ص 87.

35) أميرة حلمي مطر: تاريخ الفلسفة اليونانية ، مرجع سبق ذكره، ص 365.

36) رواية عبد المنعم: فلسفة الفن وتاريخ الوعي الجمالي، مرجع سبق ذكره، ص7.

37) وولتز ستين: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 765.

38) أسعد السحمراني: الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، دار النفائس، بيروت، ط1، 1988، 83.

39) بدوي طيانة: النقد الأدبي عند اليونان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1969، ص68.

40) أرسطو : فن الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 45.

41) محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1995، ص 88.

42) عباس ارحيلة: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين، مرجع سبق ذكره، ص 156.

43) رواية عبد المنعم: فلسفة الفن وتاريخ الوعي الجمالي، مرجع سبق ذكره، ص 57.

44) جيروم ستولينتز: النقد الفني، ترجمة: فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة، ط2، 1981، ص 168.

45) أرسطو : فن الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 27.

46) وولتز ستين: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 267.

47) وولتز ستين: تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 215.

48) إدريس الناقوري: المصطلح النقدي ونقد الشعر، المنشأة العامة للنشر، طرابلس– ليبيا، ص 77.

49) مجاهد عبد المنعم مجاهد: دراسات في علم الجمال، دار الثقافة، القاهرة، ط1، ص64.

50) عباس ارحيلة: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين، مرجع سبق ذكره، ص 166.

51) أرسطو : الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، المكتبة الوطنية، بغداد، 1980، ص 193.

52) أرسطو : الخطابة، مصدر سبق ذكره، ص 197.

53) المصدر نفسه، ص 198.

54) أرسطو : فن الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 61.

55) أرسطو : الخطابة، مصدر سبق ذكره، ص 200.

56) المصدر نفسه، ص 220.

57) المصدر نفسه، 221.

58) أرسطو : الخطابة ، المصدر نفسه، ص 266.

59) أرسطو : الخطابة، مصدر سبق ذكره، ص 207.

60) عباس ارحيلة: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين، مرجع سبق ذكره، ص 168.

61) عصام قصبجي: نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم، دار القلم، ط1، 1980، ص13.

62) أرسطو : فن الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 5.

63) المصدر نفسه، ص 8.

64) أرسطو : فن الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 71.

65) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، 1986، ص 58.

66) أرسطو : فن الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 73.

67) أرسطو : فن الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 71.

68) أريك نبتلي: الحياة في الدراما، ترجمة: جبر إبراهيم جبرا، مؤسسة فرنكلين، بيروت، نيورك، 1968، ص 19.

69) أرسطو : فن الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 8.

70) محمد غنيمي هلال: دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، دار نهضة مصر، القاهرة، ص 12.

71) أرسطو : فن الشعر، مصدر سبق ذكره، ص 12.

72) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي، مرجع سبق ذكره، ص 57.

73) أرسطو : الطبيعة، مصدر سبق ذكره، ص 149.